مجلة كلية العلوم الاسلامية ... العدد ٧٥/ ١٥ ربيع الأول ١٤٤٥هـ - ٣٠ أيلول ٢٠٢٣م

DOI: https://doi.org/10.51930/jcois.21.75.0089

مبحث النبوات في سياق التفاعل مع الفكر والمجتمع

(قضايا النبوات بالغرب الإسلامي أنموذجاً)

الدكتور يوسف بنلمهدي

جامعة قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الدوحة/ قطر

الايميل:ybanelmahdi@qu.edu.qa

رقم الهاتف:0097450537632

المستخلص:

يناقش هذا البحث تطور موضوع النبوات في تاريخ الفكر الإسلامي، ويسعى إلى اكتشاف تفاعله مع القضايا الاجتماعية والفكرية الذاتية والخارجية، والتحولات التي طرأت عليه من حيث المنهج والمضامين. وذلك عبر قراءة جديدة لظروف نشأة مبحث النبوات واستقلاله عن الإلهيات بالمشرق والمغرب، وانتقال علم الكلام من الشرق إلى الغرب الإسلامي والظروف الجديدة التي تفاعل معها.

وخلص البحث إلى استنتاج عدد من التحولات المتعلقة بنوع القضايا النبوية المثارة في كتب الإيمان والتصوف والفلسفة ومقارنة الأديان، ثم رصد المناهج المعتمدة في إثبات النبوة، والتغيير الذي طرأ على طبيعة الاستدلال.

الكلمات المفتاحية: النبوات– التاريخ– علم الاجتماع– العقيدة– الغرب الإسلامي.

تاريخ النشر	تاريخ قبول النشر	تاريخ استلام البحث
٢٠٢٣/٩/٣٠	٢٠٢٣/٨/٣	٢٠٢٣/٥/٣

المقدمة

يخال بعضهم أن العقيدة الإسلامية بيان جامد معزول في مناهجه وأساليبه عن الواقع الفكري والاجتماعي للناس، ويتكئون على كتب التعليم الموجزة أو المختصرات التعليمية لتقرير هذا الأمر من غير استقراء ولا تحليل، والواقع أن العقيدة الإسلامية هي بيان محكم أسّسه الوحي المعصوم الذي عالج أمور الناس في عصر النبوة وقرب إليهم مضامينه بما يفهمون ويستوعبون، ثم تلقفه فكر حي اقتبس من القرآن والسّنة واجتهد في البيان والدفاع والنقد؛ وهو الذي نسميه عادة الفكر الإسلامي عموماً أو الفكر العقدي تحديداً، هذا الفكر الذي تفاعل مع واقع الناس المتغير منهجاً وأسلوباً وتصوراً وتصديقاً وسلوكاً، ولعل قضايا النبوات من أهم القضايا التي تعكس هذا الأمر بنحو ملموس يمكن تتبعه تاريخياً عبر إعادة قراءة وتحليل بعض المفاهيم والقضايا في تفاعلها مع معطيات التاريخ والاجتماع.

مشكلة الدراسة:

مبحث النبوات من المباحث التي تقدم لنا صورة واقعية عن تفاعل الفكر الإسلامي مع قضايا المجتمع ومشكلاته، وهذا ما تسعى الدراسة لتحقيقه عبر الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- كيف نشأ مبحث النبوات في تاريخ الفكر العقدي الإسلامي؟

٢- ما التحولات التي خضع لها مبحث النبوات في إشكالاته ومناهجه وحججه؟

٣- ما الأنساق الدينية والفكرية والاجتماعية التي تفاعل معها مبحث النبوات قبل القرن السابع الهجري؟

٤- كيف تفاعل مبحث النبوات مع تحديات الغرب الإسلامي بعد القرن السابع الهجري؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في نقد مقولة جمود المباحث العقدية الإسلامية وعدم تفاعلها مع الإشكالات الفكرية والاجتماعية للمسلمين، وبيان أن مباحث العقيدة الإسلامية هي مباحث حية ومتفاعلة مع حاجات المجتمع المسلم، وذلك عبر مناظرة سياق معرفي ناقد للفكر العقدي الإسلامي ساع في عزله عن الواقع بحجة الجمود

والاستقالة عن حياة الناس خاصة بعد القرن السابع الهجري.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان معالم نشأة مبحث النبوات في تاريخ الفكر الإسلامي، كما يهدف إلى رصد تفاعل عنصر دلائل النبوة مع القضايا الاجتماعية والحضارية التي عرفها تاريخ الفكر الكلامي، عبر التركيز على التحديات التي عرفها الغرب الإسلامي بعد القرن السابع؟

منهجية الدراسة:

تعتمد الدراسة المقاربة التاريخية في معالجة الموضوع وبسط قضاياه، كما تعتمد التحليل الاجتماعي لبعض القضايا المعرفية ذات البعد الاجتماعي.

مصطلحات الدراسة:

النبوات– التاريخ– الاجتماع– العقيدة– الغرب الإسلامي.

المبحث الأول: النبوات في البحث العقدي: بيان معالم النشأة

نشأة البحث الكلامي في مسائل النبوات:

وبخصوص مسألة النبوة، نشأ السجال العقدي الإسلامي حولها زمن البعثة، وهو ما نجده واضحاً في آي القرآن الكريم بشقيه المكي والمدني، سواء في ذلك النقاش الموجه لإبطال الطعن في أصل النبوة إجمالاً، أم إنكار نسخ الشرائع عقلاً ونقلاً، بالموازاة مع رفض عالمية رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) أو تخصيصها بالعرق واللغة.

ومن الناحية التاريخية يمكن أن نرجع السبب في نشأة أبرز قضايا ومناهج البحث الكلامي في النبوات، إلى تحديات الواقع الاجتماعي والثقافي والديني في كل مراحل الدعوة الإسلامية؛ بدءا من انتحال المتنبئين بالجزيرة العربية وما حولها، إلى السجالات العقدية المباشرة مع اليهودية والنصرانية والمجوسية، ليأتي بعدها النقاش مع فريق من البراهمة والفلاسفة في القرن الثالث الهجري الذي يعد أكبر عصر ازدهرت فيه نزعات التشكيك في النبوة ومحاولة الطعن فيها.

وعند التفصيل يمكن أن نجد في قضية ختم الرسالة وحقيقة خرق العادة وأنواعه، ومحورية عنصر التحدي في المعجزة، حصيلة النقاش مع فئة المتنبئين من العرب وغيرهم، كما نجد فيها تفاعلاً مباشراً مع طعون يوحنا الدمشقي في نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)، التي عبر عنها بقوله: "من الذي يشهد بأن الله أعطاه كتاباً، أو من أعلم من الأنبياء أن سيأتي

نبي كهذا"[١] وقد تبنى اللاهوتيون المسيح مقالته ورددوها في مدوناتهم، أمثال قسطا بن لوقا وإسحاق بن حنين... وراجت أكثر في العصر الوسيط؛ الأمر الذي أطلق العنان لأهم مبحث في باب النبوات وهو مبحث المعجزة، وأدى إلى ظهور مصنفات مستقلة في النبوة، كما أدى إلى ظهور صنف خاص من الكتب يسمى بدلائل النبوة[٢].

لكن النتيجة الأكبر للمناظرة مع النصرانية سنجدها في جدلية الإلهي والإنساني في مباحث علم التوحيد، كبرى المسائل التي أسهمت في تعميق البحث في النبوات وأثمرت مزيد انفتاح على العقل والحس وتراث أهل الكتاب؛ إذ سعى المتكلمون إلى بيان حجج تنزيه الباري عن المشابهة والتجسيد أصالة، وبالتبعية تنزيه الأنبياء عموما عن دعوى مفارقة البشرية بالعقل والنقل والحس، وتنزيه محمد (صلى الله عليه وسلم) ودعوته عن العنف والمجون والادعاء.

وتمحور الحوار مع اليهود في الجزيرة والشام وبغداد حول مسألة نسخ الشرائع السابقة، وشمول البعثة المحمدية لقوم موسى وغيرهم من الأمم، وهذا مبحث أصيل نجده في جميع مدارس الفكر الإسلامي، إذ سُخّرت لإثباته مصنفات فكرية متنوعة بعضها يندرج في مجال علم الكلام بمعناه الضيق، والآخر ينفتح على علم "مقارنة الأديان" أو علم الملل والنحل على وجه الدقة.

أما تهكم الزنادقة من أمثال ابن الراوندي وأبي عيسى الوراق المتهمين بـ"المانوية" وغيرهم من أنصار الموروث الديني لبلاد فارس، فقد أنتج حجج التنزيه والفطانة، ورد الطعون الأخلاقية والعرفية في حق الأنبياء... كما كان للمناظرة مع بعض البراهمة وعموم خصوم النبوة من "الربوبيين"، أثر في تصور إمكان النبوة عقلاً، وأهلية الرسل لتحمل سلطة التشريع[٣]، وبمعنى أوضح؛ النبوة بوصفها تكريماً والرسالة بوصفها تكليفاً وتشريعاً، وهو الذي تفرّع عنه ذلكم النقاش الذي يغطي مساحة ثابتة في باب النبوات؛ نقصد مسألة التفريق بين النبي والرسول.

أما النقاش مع الفلاسفة فقد أغنى علم الكلام حقيقة، وهذا الحكم ينطبق على عموم مدارس التفلسف في العالم الإسلامي؛ فمحاورة طائفة الحكماء من متفلسفة الإسلام قدمت لتراثنا الفكري نصوصاً في التوفيق بين النبوة والفلسفة؛ وهي نصوص من المشرق والمغرب مثل،

ابن سينا والفارابي والكندي والعامري وابن باجة وابن طفيل وابن رشد وابن البناء... لكنه مع ذلك أنتج قضايا في البحث الكلامي، منها: مسألة كسب النبوة، وماهية الحقائق المخبر بها من النبي، وقضية التحسين والتقبيح، ورسالة النبي بين الجمهور والخواص.

بينما كان لمقالات الشكاك[٤] الذين أو "متدهرة" الفلاسفة بتعبير المتكلمين، أثر في تعزيز القول الكلامي في مسألة الحاجة للنبوة مع وجود العقل وتطور المعارف، كما ابتدع جدلية النبي والفيلسوف أو النبوة في مقابل الفلسفة، وعمق مبحث صفات الأنبياء؛ من حسن الخلق وكمال العقل وسائر الصفات، وبالتبعية من ذلك بذل المتكلمون جهوداً للتصدي لمحاولة اتهام القرآن بالتناقض ونسبة التناقض للفلسفة[٥].

مبحث النبوات في النسق المعتزلي: الموقع والخصوصية[٦]

المنهج المعتزلي –كما نعلم– يدور حول أصول خمسة، وهي كما أبرزها العلاف (ت٢٣٥هـ): التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعد والوعيد[٧]. لهذا تشكلت خريطة البحث العقدي عندهم في أبواب ترفع علم هذه الأصول بلغة جامعة بين العقل والنقل، مع تقديم للعقل عند الاقتضاء، من دون أن يعني ذلك أن مسألة النبوات من الأمور التي يستبد بها العقل؛ بل هي من السمعيات أو الشرعيات، يقول القاضي عبد الجبار: "لأن بالسمع يعلم ما يختص به الرسول من هذه الرتبة، وأن غيره من المؤمنين لا يشاركه فيها، ولا من الصالحين"[٨].

ومع أن مبحث التوحيد أصل أصيل عند المعتزلة كما عند غيرهم من مدارس الفكر الإسلامي، إذ به ترتبط كل أصول وفروع العقيدة، ومنها النبوات، إلا أن تفكيك الأصول الأربعة الأخرى يدل على مركزية أكثر للعدل في تشكيل نسقية منهج البحث عند المعتزلة[٩].

نتيجة هذا أننا عندما نبحث عن موقع مبحث النبوات ضمن منظومة النظر والبحث المعتزلي، نجدها تابعة بوضوح لأصل العدل داخلة في مباحثه، مثل كتاب شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار الذي بحث مسائل النبوات في باب العدل، وتطرق فيه للمباحث التي نجدها في باب النبوات عند الأشاعرة؛ ولا سيما المعجزة وإعجاز القرآن وصفات الرسل ونسخ الشرائع... وأهم مسائل النبوات عنده، هي: "جواز بعثة الأنبياء، وأن ذلك حسن

وصواب، ثم تعلم أنه قد بعثهم وحملهم الشرائع، وتعلم ما يدل على نبوتهم من المعجزات وصفتها، وتعلم كيفية التوصل إلى كون المعجزات بالأخبار وغيرها، وتعلم ما الفائدة في بعثهم، وما الذي يلزمنا أن نعلم في القبول منهم، وتعلم أن نسخ الشرائع جائز من جهة العقل والسمع جميعاً، جواز بعثة الأنبياء، وأن ذلك حسن وصواب، ثم تعلم أنه قد بعثهم وحملهم الشرائع"(١٠).

كما أن تصور حقيقة النبوة لا ينفك عن تصور مسألة العدل الإلهي والمفاهيم والمقالات المرتبطة به، مثل مقالة الحكمة وفعل الصلاح والأصلح واللطف والعناية... وغيرها من المفاهيم العدلية التي تقتضي بعث الرسل وإنزال الكتب؛ فقد مهد القاضي لباب النبوات بقوله: "ووجه اتصاله – الكلام في النبوات– بباب العدل، هو أنه كلام في أنه تعالى إذا علم أن صلاحنا يتعلق بهذه الشرعيات، فلا بد من أن يعرفاها لكيلا يكون مخلاً بما هو واجب عليه. ومن العدل ألا يخل بما هو واجب عليه(١١). ويوضح ذلك تلميذ القاضي المعروف بـ"مانكديم"، بقوله: "إن النبوات والشرائع داخلان في العدل، لأنه كلام في أنه، تعالى، إذا علم أن صلاحنا في بعثة الرسل، وأن نتعبد بالشريعة وجب أن يبعث ونتعبد، ومن العدل ألا يخل بما هو واجب عليه".(١٢)

كما أن الاستدلال على النبوة يرتبط بتصور المعتزلة للحسن والقبح العقلي، "فمبدأ التحسين والتقبيح أقرهما العقل إجمالاً لكن رسالة الأنبياء ضرورية لتوضيح تفاصيل الأفعال الصالحة والفاسدة"(١٣). وغاية مبحث النبوات ليست مجرد إثبات صدق النبي بل معرفة أمر سابق لها وهو "حسن البعثة" يقول: "فإذا قال: فما النبوات؟ قيل له: العلم بحسن بعثة الله الأنبياء وبأنهم قد بعثوا، ووجب تصديقهم فيما تحملوه من الشرائع، والقبول منهم"(١٤).

مبحث النبوات في النسق الأشعري: الأصول وقنوات التواصل مع المغرب

باب النبوات من الأبواب الثابتة في كتب الكلام على طريقة الأشاعرة، بحيث لا نكاد نعثر على كتاب جامع في العقيدة أهمل مبحث النبوات، فهي من ثوابت البحث الكلامي الأشعري، وورودها في الكتب يعد من المقاصد؛ لأنها ركن من أركان الدين. وبحكم تأخر أبي الحسن زمنياً ونشأته في مدرسة أهل العدل والتوحيد، فقد افاد من التراكم الحاصل في مبحث النبوات، واستطاع أن يستخرج أهم

القضايا والمذاهب في مسألة النبوة، كالمفهوم والحقيقة والحكم والمعجزة والعصمة[١٥]، وصاغها بناء على نسقه الخاص أو بتعبير ابن فورك "رتب أصولها -النبوة- على أصله"[١٦]. كما كان له إسهاماً مباشراً في تثبيت النبوة بدلائلها عبر الكتب الجامعة في العقيدة أو الكتب المفردة في الباب مثل كتاب "دلائل النبوة" الذي يعد وثيق الصلة بالموضوع، وكتب الردود التي حاول فيها "كشف تمويه مخالفيه في سائر الأبواب". خاصة المخالفين من غير المليين، مثل كتاب "الفصول" الذي خصصه للرد على جموع المخالفين في الملة؛ خاصة البراهمة "الهندوس"[١٧]... إلى غير ذلك من الكتب التي جمعت آراء الأشعري في موضوع النبوات، وأثّرت في تلاميذه وأعلام مدرسته في المشرق والمغرب، وضمت آراء أبرزها[١٨]:

١- الجمع بين المعنيين المتداولين للنبوة؛ فهي نبأ ونَبْوَة، خبر ورفعة؛ كل واحدة باعتبار، الأولى باعتبار الوحي والإخبار عن الله (عز وجل)، والثانية باعتبار المكانة والمنزلة.

٢- اعتبار الرسالة اصطفاء من الله (عز وجل)؛ من غير كسب ولا سبب ولا جزاء. وأن النبوة غير واجبة على الله عقلاً أو لطفاً.

٣- التمييز بين الرسول والنبي والولي، واعتبار الرسالة أعلى درجات الولاية؛ ليس فوقها مرتبة في العبادة والطاعة؛ لأن الرسل أكمل الناس عقلاً وفضلاً وخَلقا وخُلقاً، ولا تتصور منهم المعاصي بأي حال من الأحوال؛ إلا ما كان قبل النبوة... وانسجاماً مع ذلك قال بتفضيل الرسل في الآدميين على الملائكة المقربين.

٤- بخصوص براهين صدق النبي رأى أنها تكمن في أمور، منها: المعجزات أو خوارق العادة المقترنة بدعوى الرسالة وتحدي المبعوث إليهم؛ وهي إما قدرة زائدة عند النبي فعلاً أو علما، أو فقد تلك القدرة عند الغير؛ وهي تختلف عن السحر والكرامة، ومن براهينها أيضاً تصديق ذي المعجزات له، ومنها أن يحدث علم ضرورة للمبعوث إليه بصدقه في رسالته، ومنها أن يبشر به من قبله من الرسل ويعرفه بأوصافه وبعينه في وقته وزمانه واسمه وحاله.

٥- وكان يرى أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) أفضل الأنبياء والرسل وخاتمهم، ثبتت نبوته بجميع الوجوه،

بالمعجزة والحال والبشارة والعلامة (الإرهاصات)، ومعجزات محمد (صلى الله عليه وسلم) عنده قسمان: "أحدها القرآن وهو الكتاب المعجز في نظمه، وما تضمنه من أخبار الغيب المتعلقة بالماضي والآتي، وفي الحلاوة والطلاوة التي تتجدد كلما قرئ بخلاف سائر الكلام. والثاني ما روي عنه من الخوارق التي نقلت عن مشاهدة وسماع وتلقتها الأمة بالقبول"[١٩].

حلقات الوصل بين المشرق والمغرب

ومع أن العثور على تلاميذ مباشرين لأبي الحسن بالمغرب والأندلس مسألة ما زالت في طور البحث التمهيدي، ويصعب الجزم بمعطيات قطعية حولها، إلا أننا فيما يتعلق بقضية النبوات، يمكن أن نضع سنداً رباعياً لطريقة الأشعري بالمغرب، عمدته الباقلاني والجويني ثم الغزالي فالرازي، ولا نقصد هنا سند الفكر والتعليم، وإنما سند العلم والتأليف، فكتب هؤلاء تداولها نظار الأشعرية وتأثروا بها ونسجوا على منوالها اختصاراً وشرحاً ونقداً، ولعل الجامع بينهم فضلاً عن المذهبية الأشعرية، هو المشاركة في العلوم الفلسفية ودراسة الأديان والنحل.

فالباقلاني أثر عبر كتبه ومناظراته التي عنيت بالنبوة ودلائلها، مثل كتاب "التمهيد" الذي وضع فيه باباً لإثبات "جواز إرساله –عز وجل– رسلاً إلى خلقه وسفراء بينه وبين عباده، وأنه قد فعل ذلك، وقطع العذر في إيجاب تصديقهم بما أبانهم به من الآيات ودل به على صدقهم من المعجزات"[٢٠]. وهو –بالمناسبة– ليس باباً مستقلاً تماماً، وإنما عرج الباقلاني على قضايا النبوات في معرض ردّه على مخالفات الملل والمذاهب في التوحيد؛ إذ ذكر موقف النصارى واليهود والبراهمة من النبوة [٢١]. متوسلاً في مناقشتهم بأسلوب جدلي يغلب عليه العرض والنقد. وكذلك فعل في "رسالة الحرة" التي وضع فيها باباً لجواز بعثة الرسل وإثبات رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم)، كما ألف في إثبات معجزة النبي وإبطال الشكوك حولها كتاب "الانتصار للقرآن"؛ لأن النبوة من وجهة نظره تستند في الإثبات على القرآن بالدرجة الأولى؛ وعلى منوالها نسج كتاب "البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات"، الذي كان واضحاً في بيان خصائص المعجزة وشروطها والفرق بينها وبين بقية أنواع خرق العادة.

وأخذا بالحسبان ما للجويني من مكانة في تاريخ الفكر العقدي المغربي فإننا ملزمون كذلك بالإشارة إلى أهم المباحث التي تطرق لها من دون أن يعني أنه أبدعها؛ وهي كما أوجزها في تمهيده لباب النبوات من كتاب الإرشاد "أولا إثبات جواز انبعاث الرسل رداً على البراهمة؛ الثاني المعجزات وشرائطها، وفيه تبيين تمييزها من الكرامات والسحر، وما يتميز به مدعي النبوءة؛ والثالث في إيضاح وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول؛ والرابع في تخصيص نبوة نبينا (محمد صلى اللّه عليه وسلّم) بالآيات، والرد على منكريها من أهل الملل؛ والخامس الكلام في أحكام الأنبياء، وما يجب لهم وما يجوز عليهم[٢٢]... إلى غير ذلك من المباحث التي صارت ثوابت باب النبوات في كتب المختصرات وشروحها بالمغرب.

أما الغزالي فهو الأكثر تأثير في مسألة النبوة، خاصة أنه انفتح على الأديان والفرق والفلسفات والتصوف، وخاض في أمور عقلية ونقلية وحسية وذوقية، كما ناقش الشكوك المحتملة حول دعوى النبوة وكيفية جلائها وتحقيق اليقين عن طريق المشاهدة والمعجزة والتواتر... وغاية البحث عنده كما عند غيره هي تثبيت الشريعة وتنزيه صاحبها عن الطعون التي أدت إلى فتور الاعتقادات في أصل النبوة، بسبب الشكاك والإباحيين والقائلين بتكافؤ الأدلة، وقد عالج الغزالي هذه المواضيع في القسطاس المستقيم وكيمياء السعادة والمنقذ من الضلال والرد الجميل.

أما فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) فهو فارس النبوات من غير منازع، وأثره في الجيل الذي سنتحدث عنه جلي عبر تفسيره وعبر كتبه الأخرى خاصة كتاب المطالب العالية ومعالم أصول الدين والأربعين والمحصل... ومن بين أهم الأسباب التي جعلتنا نقف عند الرازي فضلاً عن حضوره في متون العقيدة المغربية المؤلفة بعد عصر الموحدين، هو أسلوبه المحكم في التأليف ومنهجه العلمي في المناظرة؛ فضلاً عن تمكنه من تجديد مبحث دلائل النبوة عبر تنظيم الجانب الخلقي الذي كان موجزاً عند السابقين، الأمر الذي أعطى لحجج النبوة لزوماً أوسع، كما استطاع ضبط التصور الأشعري للمعجزة طبيعياً وفلسفياً، ووضع معايير واضحة لتمييزها من غيرها، وفي السياق نفسه حافظ على ارتباطها بمباحث الجائزات التابع لباب التوحيد.

تبقى هذه الأمور التي تحدثنا عنها غير مكتملة إذا لم نذكر قدرته الفريدة على

عرض الشبهات ببيان وأمانة وشجاعة، ثم نقدها بمقدمات عقلية ونقلية قاطعة، وبأسلوبي جدلي جامع بين العلم والدين والفلسفة. ويمكن أن نمثل لكل هذا بالجزء الثامن من كتاب المطالب العالية أو كتاب "النبوات" الذي عرض فيه الرازي تصوراته حول النبوة، بدأ من عرض طوائف منكري النبوة وشبههم، إلى ربط البحث في النبوة بالبحث الوجودي ثم إثباتها من طرائق هي: طريق المعجزات، ثم طريق إكمال الناقصين في القوتين النظرية والعملية؛ وهي الطريقة التي عدها أكمل من سابقتها من جهة إثبات النبوة[٢٣]. ثم النظر في كمال حال النبي ومهامه وعصمته، ليختم بالحديث عن نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ودلائلها، وحجج تفضيله على غيره من الأنبياء.

النبوة في الفكر الأشعري المغربي

ما تقدم من قضايا النبوات عند المعتزلة والأشاعرة، وجد طريقه للكتب المؤسسة للدرس العقدي بالمغرب، كالحضرمي في عقيدته، والديباجي في تسديده، والضرير في التنبيه والإرشاد، وابن العربي في الأوسط، والسلالجي في البرهانية، وابن خمير في مقدمة المراشد... وغيرها من الكتب التي عكست تفاعلاً قوياً مع تراث المدرسة الأشعرية المشرقية؛ هذا فضلاً عن الكتب المفردة للنبوات كابن العربي في تنبيه الغبي على مقدار النبي والمقسط في ذكر المعجزات وشروطها، والقاضي عياض في الشفا، وابن خمير في تنزيه الأنبياء... فضلاً عن كتب دلائل النبوة التي ازدهرت بنحو ملفت في القرنين الخامس والسادس، ككتاب أعلام النبوة لعبد الرحمن بن فُطَيْس القرطبي (ت٤٠٢هـ)، وأعلام النبوة. لأحمد ابن عمر بن أنس بن دلهاث الدلائي المري الأندلسي (ت٤٧٨هـ) وكتاب البشائر والأعلام لسياق آيات النبي (عليه أفضل الصلاة والسلام)، لابن القطان الفاسي (ت٥٤٨هـ). وخير البشر بخير البشر لأبن مظفر الصقلي (ت٥٦٧هـ) وكتاب معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم) لعبد الحق الاشبيلي (ت٥٨١هـ). وكتاب دلائل النبوَّة لأبي ذر مصعب بن محمد الخشني الأندلسي... (ت٦٠٤هـ)[٢٤].

ولعلنا نتلمس هذه التأثير بعيداً عن التعميم؛ عبر الوقوف مع أول أشاعرة المغرب الأقصى وضوحاً وهو أبو بكر المرادي (ت ٤٨٩هـ) في متنه ذي التوجهات الإصلاحية، ومن خلال عنوان دال هو "باب في الرسالة"، عرج فيه على

ستة فصول، هي: "الكلام في جواز النبوة، وذكر المعجزات الدالة عليها، وشروطها ووجه دلالتها، وتفصيل الدليل على صدق الله والرسول، ثم الكرامات والفرق بينها وبين المعجزات..."(٢٥). واختياره لعنوان الباب يرد في سياق إصلاحي مباشر باعتبار ما للرسالة من قوة دلالية في تثبيت أحكام الدين جملة وتفصيلاً، ولا سيما أن النبوة في زمنه لم تكن في حاجة لتأصيل بقدر ما كانت في حاجة لتفعيل؛ فالمرادي في الحقيقة إنما أراد تثبيت سلطة الشريعة ودعم التزام أحكام الرسالة فردياً واجتماعياً من منطلق عقدي، ولم يكن هدفه مجرد إبراز مقام النبي في الدين، وقد نص على ذلك بقوله: إن "الرسل يبلغون من الشرع ما لا تدل عليه أدلة العقل كأقدار الديات وأروش الجنايات..."(٢٦).

وبخصوص موقع الباب في معمار الكتاب حافظ المرادي على تبعية مبحث النبوة للتوحيد، كما رصدناه عند الباقلاني بالضبط، فتوحيد الأفعال عنده يشمل من المعاني؛ الفعل لغير علة ومنفعة، وهي المسألة التي تؤدي في منطق الكلام الأشعري الدفاع عن القول بجواز النبوة ونفي قول القائلين بوجوبها كالقدرية، إذ لا يجب على الفاعل المختار شيء(٢٧).

وبخصوص حجج النبوة قرر ما قرره السابقون من الاستدلال بمعجزة القرآن والآيات المشاهدة، وعد دلالة المعجزة على صدق الرسول مسألة جواز عقلي لا ضروري، كما هو الأمر عند الجويني، وفي هذا السياق كان لا بد من التفريق بين المعجزة والكرامة، ولا سيما في أمرين هما التحدي وعدم المعارضة(٢٨).

ملمح باقلاني آخر في طرح موضوع النبوات، نجده عند عبد الجليل الربعي الديباجي في كتاب "التسديد" الذي شرح فيه تمهيد الباقلاني، اذ حافظ على ترتيبه ومنهجه الذي ذكرناه سابقاً، وعضد مذهبه في توحيد الأفعال عبر نفي التعليل والمنفعة، وبيان أصناف القائلين بوجود فاعل غير الباري (عز وجل) أو بوجود فاعل معه، فذكر الطبائعيين والمنجمين وأهل التثنية والمجوس والنصارى، وفي مناقشته للبراهمة واليهود ركز على مقالاتهم بخصوص النبوة والرسالة، من قبيل إحالة الرسالة وإنكار المعجزات ونسخ الشرائع وعالمية الرسالة، وبيان دلائل نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) خاصة القرآن الكريم المعجز من وجوه عدة(٢٩). وإذا كان الباقلاني قد ركز في مسألة مناقشة النصارى على التوحيد وإبطال الأقانيم، فإن

الديباجي انفرد عنه بمناقشة نبوة (محمد صلى الله عليه وسلم)، وذكر مجموعة من البشارات الواردة في كتبهم خاصة العهدين القديم والجديد[٣٠].

وبدخول الكلام الأشعري مرحلة ترسيم الجوينية حدثت بعض التحولات الدقيقة في مبحث النبوات، لصالح الاستقلال والتهذيب والتقريب وكذلك التوسع في الدلائل على حساب شروط المنهج الكلامي أحياناً؛ فالضرير (ت٥٢٠هـ)، الذي نعده من أبرز علماء المرحلة الجوينية بالمغرب، يبدو أقل التزاماً بمقتضيات المنهج الكلامي، من جهة كون متنه تعليمي المقصد؛ لهذا توسع في واردات مبحث النبوة، بين المعقول الصريح والمبهم، والمنقول الصحيح المتواتر والآحاد المظنون، وأحصى عشرة أدلة على ثبوت النبوة، رام منها إسناد المعجزة وتعضيدها في وجدان أهل السنة تحديداً، وهي: صفاته في الكتب السابقة والإرهاصات التي حدثت في حياته قبل البعثة، وكان غريباً أن يدعى تواترها! ثم القرآن الكريم، وآياته الحسية في الطعام وشق القمر... والآيات غير المتواترة، واستجابة الدعاء على سبيل الاستشفاء والاستسقاء، ثم الأخبار التي أخبر بها قبل وفاته وتحققت، وكذلك النصر والتمكين المقرون بالاستقامة، وأخيراً كرامات الصالحين من أمته[٣١].

ومع جويني آخر هو أبو عمر عثمان السلالجي (ت٥٩٤هـ) الذي لم يحد عما راكمه الأشاعرة من مقالات من جهة عد إرسال الرسل من الجائزات، وأن دليل النبوة الأبرز هو المعجزة بوصفها أمراً خارقاً للعادة له شروطه؛ مع أن السلالجي فضل أن يذكر بعضها ولم يذكرها على التفصيل، نظراً لاختلاف أصحابه في حصرها. والشروط المذكورة عنده هي: "أن تكون فعل الله، خرق للعادة، وأن يقع التحدي بها، وأن تكون موافقة للدعوى، وأن يعجز المتحدون عن المعارضة والإتيان بمثلها"[٣٢]. ثم انتقل إلى بيان فضل محمد (صلى الله عليه وسلم) على الأنبياء أجمعين، وإثبات نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)، ودلائلها الحسية والمعنوية كـ: "القرآن الكريم الذي اعتبره أعظم معجزاته (صلى الله عليه وسلم)، وانشقاق القمر، ونطق العجماء، وتكثير القليل، ونبع الماء من بين أصابعه (عليه الصلاة والسلام)، وإخباره عن الغيوب التي لا يتوصل إليها إلا بالوحي. فظهرت موافقة لدعواه (عليه السلام) وامتنعت المعارضة من الخلائق، وكل ذلك معلوم ضرورة، ومن يجب في

حق الأنبياء عقلاً وشرعاً؛ "العصمة عما يناقض مدلول المعجزات عقلاً وعما سواها من الكبائر إجماعا".[٣٣]

ومثله مثل الضرير وغيرهما ممن عني بالآيات الحسية، لم يلتزم السلالجي بالأنقال التي يتحقق فيها التواتر وتفيد العلم الضروري، بل جمع بينها وبين أخبار الآحاد التي لا تفيد القطع، لكنها من الأخبار التي يطمئن لها المصدق بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)، ولا سيما أنها تعضد بغيرها.

ومع ناقل مجتهد لتطور البحث واكتماله بالمشرق، ذلكم هو ابن العربي المعافري (ت٥٤٣هـ) الذي عني بموضوع النبوة في أغلب كتبه، فهو قد تحدث عن النبوة من جهة التأصيل الكلامي والحديث والسيرة والفقه... وكتاباته ترد في سياق الكلام الفقهي المنفتح على المنقول المتواتر والأحاد، بل إنه يأخذ حتى بالإسرائيليات اقتداء بمالك بن أنس[٣٤].

وما ميز كتاباته أن مسائل النبوات صارت شبه مكتملة؛ بدأ من "التعريف الجامع بين النباوة والإنباء، إلى الحكم بالجواز العقلي ونفى الوجوب، مع مناقشة للبراهمة والمعتزلة في ذلك، والتمييز بين النبي والرسول من جهة التبليغ والمرتبة. ثم بيان وجه تيقن الرسول من الرسالة، ووجه تيقن الخلق من رسالته؛ هذا الأمر تمحور عنده حول المعجزة التي فصل في شروطها، وميزها عن أنماط أخرى لخرق العوائد؛ كالكرامة التي كان له موقف وسط بخصوصها، وقرر جوازها للولي من غير استدعاء، ولم يهمل مناقشة أعمال الدجالين والمشعوذين وأدعياء النبوة والسحر والكهانة، ليأتي إلى المقصد الأسمى للبحث، وهو إثبات نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) والرد على النصارى واليهود من جهة العقل والشرع؛ فناقش النسخ وعالمية الرسالة ودلائل النبوة التي حصرها في المعجزات؛ وأهمها القرآن في نظمه وفصاحته، وبعض المعجزات الحسية التي ذكر أنها وإن كانت أخباراً فهي "آحاد لم تبلغ مبلغ القطع بالنقل المتواتر، لكن مجموعها بالغ هذا المبلغ... كانشقاق القمر وتكثير الطعام القليل، وحنين الجذع..." وختم بمبحث العصمة"[٣٥] الذي عكس لنا شخصيته العلمية المتفاعلة مع الواقع؛ عبر إنكار ثبوت الكبائر في حق الرسل قبل الرسالة شرعاً مع جوازه عقلاً، ونفي الصغائر عنهم بعد البعثة. وختم كغيره بثمرة البحث كله، وهي "ثبوت نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) وثبوت عصمته،

ومن ثبت في حقه هذا وجب العلم به، والتصديق بما جاء به، واتباعه، والتبليغ عنه"[٣٦].

واسطة عقد النبوات بالغرب الإسلامي هو عياضى اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، ولا سيما في كتابه الشفا في التعريف بحقوق المصطفى المؤلف نحو ٥٢٢هـ، هذا الكتاب يعد من أكثر المتون تأثيراً في قضايا النبوات في الفكر الإسلامي منذ تأليفه إلى الآن، في الشرق كما في الغرب، وشهادة المقري فيه صحيحة يقول: "طار صيته شرقًا وغربًا، وقد لهجت به العامة والخاصة عجمًا وعربًا"[٣٧]؛ لأنه متن أفرغ فيه عياض معارفه كلها، وفضلاً عن هويته العقدية السنية، فهو متن عابر للتخصصات تجد مضامينه في الحديث والتفسير والأحكام والآداب والملح والرقائق، ومن أهم ما ثبته عياض في متنه:

أ- ترسيخ النبوة ضمن عقائد الإسلام، وبث القضايا العقدية في بطون الكتاب والنظر إليها من جهة النبوة مثل التوحيد والتنزيه والصفات.

ب- الجمع بين المذهبية الأشعرية وتصوف الأخلاق، وفيه من الغزالية الشيء الكثير برغم ما يحكي عن نقد وتعريض لعياض بالغزالي.

ج- توسيع النظر في دلائل النبوة، من جهة الانفتاح على العقل والنقل والحس، ورفع الأخلاق لمستوى الدليل، مما ترتب عنه رفض نسبة الصغائر للأنبياء، ورد قول من جوزها من المحدثين والفقهاء والمتكلمين.

د- تثبيت نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) وبيان علو منزلته في الدارين، مع ما يترتب عن ذلك من تفضيله على سائر المرسلين في كل الصفات ودلائلها، ثم خصائصه، وأسماؤه، وشمائله، وعصمته، المر الذي يستوجب تعظيمه واتباعه وتفنيد الشبه المتعلقة بسيرته ودعوته[٣٨].

وبهذا نكون قد ختمنا المرحلة التأسيسية في نشأة وتكوين النبوات بالمغرب والأندلس، وبينا أهم معالم بحث هذه المسألة ومواردها، لننتقل إلى رصد تفاعل تلك المعالم مع الواقع العلمي والفكري والاجتماعي في حقبة ما بعد الموحدين.

المبحث الثاني: من قضايا النبوات في التفكير العقدي المغربي بعد القرن السابع الهجري

تمهيد:

لم يجمد البحث العقدي عند عتبة الترسيم المذهبي زمن الموحدين، بل زاحمته إشكالات معرفية واجتماعية أكسبته بعض

الخصوصيات؛ وحتى المتون المحفوظة والقضايا الموروثة طرحت في سياقات متباينة؛ بعضها عرض في سياق إصلاحي منفتح على الفكر والمجتمع، وبعضها الآخر اتخذ من الجدل الكلامي منهجا للتفاعل مع الأفكار والمقالات، بغض النظر عن زمنها وراهنيتها. وباستقراء بعض المتون العلمية التي تغطي حقبة ما بعد الموحدين في موضوع النبوات يمكن أن نجمل أهم القضايا في:

حقيقة النبوة: حوار الدين والتصوف والفلسفة

حقيقة النبوة أمر مشكل بين أتباع الأديان والمناهج، والدارج على لسان المتكلمين أن الفلاسفة يقولون باكتساب النبوة، أو يقولون باستحالتها عقلاً(٣٩)، لكن المنجور في حاشيته على كبرى السنوسي كان له نظر أعمق في المسألة؛ إذ انتبه إلى أن اتحاد العبارة بين المتكلمين والفلاسفة يخفي مسألة غاية في الأهمية ألا وهي اختلاف تصور حقيقة النبوة من الفريقين؛ فالتخلية والتحلية وأنواع الرياضات الروحية تكسب الإنسان صفاء مرآة القلب وجلاءه، لكن ذلك لا يمكن عدّه نبوة؛ إنما النبوة هي "اختصاص بسماع وحي من الله بواسطة ملك أو دونه..."(٤٠). والقصدية في هذا التأويل واضحة ومباشرة، وهي ما استنتجناه سابقاً من أن المناظرة في باب النبوات موجهة بالأساس نحو إثبات الأحكام الشرعية، بداية من أول نص عقدي مغربي –عقيدة المرادي– إلى غاية الكتب المتداولة حالياً؛ وبهذه القصدية سيحكم المنجور باختلاف تصور الفلاسفة والمتكلمين للنبوة، اختلاف رصده بعمق وتمكن من توظيفه توظيفاً جدلياً عبر دعوته إلى تجاوز قضية الاكتساب والتخلق إلى التأشير على قضية الوحي وخطاب المَلك، بوصفه موضع النزاع الحقيقي. كما وظفه في إحراج الفلاسفة وبيان نظرتهم "المنحرفة" للنبوة والوحي، وبالطبع لا نحتاج أن نؤكد أن قصد المنجور يشمل ثلة من الفلاسفة لا كلهم، وهذا واضح في كتب العقيدة والكلام(٤١).

فريق ثالث سيكون له أثر كبير في مناقشة مفهوم النبوة، هو فريق المتصوفة، ولا سيما متصوفة الحقائق المتعمقين في حقائق المفاهيم الدينية ومنها مفهوم النبوة، وأهم الإشكالات التي سيناقشها هؤلاء هي: حقيقة النبوة، وعلاقتها بالولاية، ثم جدلية الحقيقة والشريعة أو النبوة والرسالة التي صارت أكثر وضوحاً.

وبخصوص حقيقة النبوة تواترت نصوص متفلسفة الحقائق على المعنى الظاهري الموجود في الفكر الإسلامي، من جهة عدها اتصالاً بالوحي من ملَك وغيره، كما تواترت على نفي ونقد التأويل الفلسفي، أو مقولة العقل الفعال التي طرحت في إطار سعي متفلسفة الإسلام للتوفيق بين الدين والفلسفة، وأبرز الرافضين لهذا التأويل هو عبد الحق بن سبعين (ت٦٦٩هـ) الذي رأى أن القول بأن النبي يستمد وحيه بواسطة العقل الفعال، قول غير صحيح، بل إنه ذهب أبعد من ذلك عندما عدّ النبوة مناقضة للفلسفة[٤٢].

وتبقى أهم إشكالية ناقشها علماء العقيدة والتصوف بالغرب الإسلامي هي العلاقة بين النبوة والولاية وما تبعها من عناوين فرعية مثل المعجزة والكرامة، والعلوم الوهبية والمنزلة،... ذلكم النقاش الذي عرف امتزاجاً بين العقل والنقل والذوق، في إطار تداخل البحث الصوفي بالبحث العقدي والكلامي في تلك الحقبة. لكن المتفق عليه بين أصحاب هذه المشارب هو الحرص على استتباع الولاية للنبوة، من دون أن يعني ذلك اتفاقهم في أساليب عرضها؛ بين من عرضها في إطار تقريري يورد المعاني وشواهدها كما تقررت في مرحلة النشأة، ومنهم من عرضها في إطار جدلي يحاول البحث عن حدود العلاقة بين النبوة والولاية، وهل هما من جنس واحد فيه تباين واصطفاء أم هل هما من جنس مختلف؟ أم هل إن الأصل هي النبوة والولاية التماس منها، إذ هي ثمرة من ثمارها، يحصل بها للمتبع المتقي علم لدني وتأييد رباني، من دون أن يعد تشريعاً.

سؤال آخر كان لا بد من أن تطرحه دواوين العقيدة والتصوف، هو علاقة خوارق الأولياء أو الكرامات بخوارق الأنبياء، أهي من جنس واحد؟ أم إن بينها فرق هو دعوى النبوة والتحدي والعجز؟ وهل تحصل للصالحين كرامات إلا باتباع المرسلين؟ بل إن مدونات العقيدة والتصوف بالغرب الإسلامي مجمعة على أن كرامات الصالحين من معجزات سيد المرسلين[٤٣]. لكن متصوفة الحقائق لم يقفوا عند حدود فهم التصوف السني والتصور الكلامي للنبي وصفاته، بل كانت لهم أنظار تتجاوز هذا التراث التقريري والجدلي، فالنبوة بالنسبة لهم لها أسرار، والنبي له أنوار، وأوصافه الروحانية لا تقل أهمية عن أوصافه الظاهرية؛ نجد هذا عند ابن سبعين في كتاب أنوار النبوة الذي يمكن عده قراءة ذوقية لدلائل وخصائص النبوة التي قررها

علماء العقائد والسير، إذ قرر ابن سبعين أن للنبي (صلى الله عليه وسلم) ثلاثة وثلاثين نوراً؛ منها نور النبوة، وهو النور الرابع بعد نور العزة ونور الغاية الإنسانية ونور الإدراك. ويقصد ابن سبعين بنور النبوة هنا "ما له ظهَر من الآيات، وما تحدّى به من المعجزات، ثم ما أدرك من النوع الأكمل. هذا كشف له به عن مقام النبوءة، وأظهر اللّه به قدره ومكانه"(٤٤).

وإذا عبرنا الأذواق السبعينية إلى الموارد المعرفية ومقاصد البحث عند ابن سبعين وغيره من متصوفة الحقائق، سنجده لا يختلف كثيراً عن الفكر الإسلامي جملة، بل يمكن الجزم بأنها كتابات تروم الانتصار للنبوة في سياق تداولي عرفاني. من ذلك مثلا الحرالي المراكشي في كتاب "كشف الخفا في شرح أسماء المصطفى" الكتاب الذي استمد مادته من القرآن والسنة، وانفتح على مدونات أصحاب الشرائع السابقة، بهدف تثبيت نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) وإظهار خصائصه ومظاهر تكريمه واصطفائه، في سياق تناظري لا يستبعد الشبهات المثارة حول النبوة. فابن عربي الحاتمي مثلاً عندما عد نور النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) هو أصل الموجودات، لم يكن غائباً عن المناظرة مع منكري الملل الأخرى، فمن ضمن هذه الموجودات الأنبياء، لهذا استحق الفضل عليهم أجمعين.

يبقى أن نشير إلى أن ثمة كلاماً منسوباً لمتصوفة الحقائق تسبب لهم في مضايقات ومتاعب، ولا سيما ما تعلق بجدلية الحقيقة والشريعة أو النبوة والرسالة، وبصفة أكثر مسألة ختم النبوة؛ فالتصوف بوصفه مسلكاً روحانياً يستمد مفهوم الولاية من النبوة بوصفها من درجاتها(٤٥) أولاً وكذلك بوصف ولاية الولي متحققة باتباع النبي، بمعنى أن المتكلم مستمسك باستمرار الرسالة بوصفها أحكاماً وشرائع متبعة، والمتصوف ينظر فضلاً عن ذلك إلى استمرار النبوة بوصفها أسراراً وأنواراً يقتبس منها. وإن كانت هذه الأمور خرجت بالبحث العقدي عن الفصل الواضح بين النبي والولي لكنها فتحت باباً جديداً لدلائل النبوة والمفاضلة هو الباب العرفاني.

النبوة والمعجزة: جدلية التقرير والتدليل

مسؤولية المتكلم في البرهنة على صدق دعوى النبوة قائمة بقيام الرسالة؛ لأنه من حيث كونه معتقداً لصحة النبوة داعياً غيره إلى التصديق بها، لزمه التدليل وإقامة الحجة الراجحة على إيمانه ودعوته، وقد

تفاعل هذا الاحتجاج مع الواقع الفكري والاجتماعي، تفاعلاً أدى به إلى الانفتاح على كل دليل يراه مقنعاً لفئة أو "قامعاً" لشبهة، وهذا أمر نجده في مختلف أنماط الفكر العقدي الممتد من حقبة ما بعد الموحدين إلى نهاية العصر السعدي الذي تغطيه هذه الدراسة؛ باستثناء بعض النصوص التعليمية الموجزة التي لم تنفتح على مستجدات الواقع؛ تقيدا بمقاصدها لا عجزا عن التوسع والاجتهاد؛ أما المتون العالمة والمستوعبة فحالها هو الميل نحو التنوع والتكثير وعدم التقيد بالمعجزة.

فهذا أبو العباس القرطبي (ت٦٥٦هـ)، يحدثنا في كتابه "الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام"، عن أربعة أنواع، إذ خصص القسم الثالث من كتابه القيم لإثبات نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)، يقول فيه: "محمد بن عبد الله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صادق في كل ما أخبر به عن الله تعالى ولا يجوز عليه شيء من الكذب، ونستدل على ذلك بأدلة صادعة وبراهين قاطعة أصولها أربعة: الأول: إخبار الأنبياء قبله ووصفهم له في كتبهم الثاني: النظر في قوانين أحواله، الثالث: الكتاب العزيز، الرابع: ما ظهر على يديه من خوارق العادات..."[٤٦]

ومن جهته أضاف السكوني (ت٧١٧) لدلالة المعجزة خبر المرسلين السابقين[٤٧]. والأمر نفسه وجدناه عند ابن جزي الغرناطي (ت٧٤١هـ) الذي عدها في خمسة دلائل، هي: القرآن الكريم والآيات (المعجزات الحسية) المقطوع بها عيناً أو نوعاً ثم الشمائل وما ظهر من علامات عند ولادته وبعثته وأخيراً ما ظهر من علامات بعده مثل ظهور دينه على الأديان[٤٨].

عنصر آخر رسخ في مبحث الدلائل هو عنصر الأخلاق، الذي قلنا سابقاً: إن تعمقه في بنية البحث في النبوات يرجع إلى الفخر الرازي، لهذا لا غرابة أن نجده عند ابن خلدون في لباب المحصل الذي لخص فيه محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي، وكذلك عند ابن عرفة الورغمي (ت٨٠٣هـ) الذي أكد أخلاقه (صلى الله عليه وسلم) ضمن منظومة دلائل النبوة إلى جانب القرآن الكريم والخبر بالمغيبات في الكتاب والسنة، وخاص نقاشاً جزئياً مع الرازي في بعض القضايا[٤٩]. وابن زكري الذي استحضر حجة إكمال الناقصين من حيث القوة العلمية ورأس كمالاتها معرفة الله (عز وجل)، ثم القوة العملية ورأس كمالاتها الطاعة[٥٠].

وبخصوص تفسير اعتماد هذا الجيل على الأخلاق، يمكن أن نتوسل بمعطيات تاريخية وحضارية، أهمها مواجهة الدعاية الصليبية التي رصدت قوة تعلق المسلمين بنبيهم –حتى مع ضعف تكوينهم الديني أحياناً– ولما استعصى عليها أمر تنصيرهم قهراً؛ وكانت في حاجة إلى تبرير وحشية المعاملة وقسوتها؛ حاولت تشويه صورة النبي (صلى الله عليه وسلم) لكسر أي تعاطف إنساني من عوام المسيحيين مع شركاء الوطن المضطهدين، وللأسف فالصورة النمطية التي صاغها الغرب عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في العصور الوسطى وتحت ظلال فكر وسيف محاكم دواوين التفتيش ما زالت ساكنة في الوعي الجمعي الغربي. كما يمكن تفسيره بالصحوة الروحية الأخلاقية التي عرفها العالم الإسلامي عموماً والمغرب تحديداً بعد موقعة العقاب، وأيضاً بحوارات المتكلمين مع الفلاسفة، تلك الحوارات التي جعلت البحث الأخلاقي تالياً للبحث الأنطولوجي في قضايا النبوات.

غير أن تحليل هذا المعطى لا ينبغي أن يذهب بنا بعيداً لدرجة زعم النقض أو التجاوز للدليل المحوري –المعجزة– الذي حافظ على مكانته بوصفه الدليل الأقوى من جهة العقل والنقل؛ لذلك وجدنا ابن البناء المراكشي يؤلف رسالة في المعجزات النبوية(٥١)، ووجدنا نظار الغرب الإسلامي(٥٢) يذكرون المعجزات الحسية كانشقاق القمر وتكثير الطعام... مع سعي متكلف من بعضهم في إحصائها والمفاضلة بينها وبين آيات الأنبياء السابقين؛ فهي عند بعضهم "ألف معجزة، وأنه ما من نبي أعطاه الله معجزة إلا وأعطى محمداً (صلى الله عليه وسلم) في نوعها ما هو خير منها أو مثلها"(٥٣) ولا يخفى ما في هذا من سجال غير مباشر مع اليهود والنصارى تحديداً.

كما بقي القرآن الكريم أعظم معجزات الرسالة المحمدية(٥٤)؛ لأنه دائم؛ بينما بقية المعجزات تخص من حضرها وشهدها. وعن وجه الدلالة على النبوة اختلفت مصنفات الغرب الإسلامي بين ساكن على تراث المؤسسين من المشارقة والمغاربة، وبين مجتهد متفاعل مع واقعه العلمي والثقافي، مثل ابن جزي الذي تصور إعجاز القرآن في عشرة أوجه، جمع فيها بين العقل والحس والذوق، وهي: الفصاحة والتحدي وأخبار السابقين، وأخبار اللاحقين، والعقائد وأدلتها وحججها التي تعجز عنها العقول إلا بوحي، والتشريع

والأحكام، وحفظه من التغيير والتبديل، وتيسيره للحفظ، ولا يُمل من كثرة الترداد، والاستشفاء به[٥٥]. بينما نجد عند غيره متابعة أبي المعالي في حصر إعجاز القرآن في أوجه ثلاثة هي الجزالة مع الأسلوب والنظم المخالف لكلام العرب، ثم قصص وأخبار الأمم الماضية، وأخيراً الإنباء بالغيب الآتي[٥٦].

خلاصة القول: إن الأمر أشبه بترتيب جديد للشواهد يراعي لزومها الواقعي؛ لأن العلم بالنبوة ليس من علوم الضرورة ولا من قواعد البرهان الخالصة، وإنما هو مجال منفتح على تعدد الشواهد والأحوال والمشاهد، والمعجزة هي شهادة أو شهادات ظهرت في زمن كانت قضية النبوة تواجه فيه تحدياً حقيقياً، فكان لا بد من إعجاز الخصوم وقطعهم بخوارق لا قبل لهم بها، وهذا النقاش لا يمكن تجاوزه في العصور الوسطى المسيحية في الأقل، ونراه مركز اهتمام من كتاب معاصرين ينبغي محاورتهم على قواعد تداولية أو محايدة.

النبوة والجدل الديني: الوجه الآخر للصراع الثقافي في الغرب الإسلامي

كانت العلاقة بين المسلمين واليهود والمسيحيين بالمغرب والأندلس محكومة بالموادعة وحسن الجوار عموماً، لا يعكر صفوها نزاع طائفي ولا صراع هويات؛ لأن الكل يعرف الآخر حق المعرفة ويلتزم بضوابط العيش المشترك في فضاء حضاري واجتماعي سليم، إلى حد كبير، الأمر الذي انعكس إيجاباً على مستوى الحوار الفكري والديني؛ وطبعه بطابع الالتزام العلمي والاجتماعي الذي يندر فيه خطاب التعصب والإقصاء؛ فمع أن أحبار اليهود كانوا قادة دينيين واجتماعيين لأقلية منغلقة فكرياً واجتماعياً، إلا أنهم تمتعوا بحق وحرية الكلام في المسائل الخلافية على وفق معتقدهم، بدليل مجالس المناظرات التي عقدت ونقلتها كتب العلم والتاريخ[٥٧]. وكذلك الأمر بالنسبة للنصارى، فلم يغير وقع الهجمات القشتالية من مبادئ الحرية الفكرية في بلاد المسلمين كثيراً، وإن كانت لغة المحاورات قد اصطبغت أحياناً بإيقاع الاضطرابات الاجتماعية والسياسية.

لكن القرن الخامس الهجري عرف تحولات خطيرة ومظاهر غريبة عن روح التجربة الحضارية المشتركة؛ فظهرت نصوص كتابية تسيء للإسلام، ورسالته السمحة، ونبيه المعصوم، وكتابه المعجز، متخذة من تلك البيانات المتعصبة ذريعة للتنصير القسري للمسلمين أو طردهم

والتنكيل بهم من محاكم التفتيش، مما استدعى رد فعل من علماء الوقت؛ ذلكم الرد الذي أنتج لنا أهم النصوص المؤسسة لمباحث النبوات في الغرب الإسلامي.

فبخصوص اليهود تجدد النقاش معهم بقوة عبيد عصر الموحدين، وذلك بسبب محنة محاكم التفتيش التي أدت لإجلاء يهود الأندلس للمغرب بأعداد وفيرة، الأمر الذي أحدث اضطرابات اجتماعية واقتصادية(٥٨)، يمكن عدها من أهم أسباب تنشيط النقاشات الفكرية في مواضيع عقدية خلافية، خاصة قضية النبوة؛ لأن قضايا الألوهية تأثرت بتأويلات ابن ميمون، وهي في الغالب تأويلات تنحو منحى غزالياً أشعرياً(٥٩)، بينما نجد في التوراة تصوراً مختلفاً لمفهوم النبوة وخصوصياتها وصفات الأنبياء وأنواعهم، فضلاً عن مناقضة العصمة وتجويز الكبائر القبائح في حق الأنبياء، والأدهى من هذا كله أن ما تتحدث عنه بعض الكتابات من تأثير للتصور التوراتي على ظاهرة انتحال النبوة بالمغرب، هو أمر غير مستبعد ولا سيما في جزئية عدم التفريق بين النبي والكاهن والعراف والساحر والقائد المجتمعي.

وعند فحص النصوص الإسلامية التي دونت في ذلك العصر نجدها تركز النقاش حول مسائل لها بعد ديني واجتماعي بين، أبرزها:

مسألة المفاضلة بين الرسل؛ ولا سيما موسى ومحمد (عليهما السلام)، وبيان أي الأمم أحق بعهد إبراهيم، أهم ذرية إسماعيل من العرب(٦٠) أم ذرية إسحاق من اليهود والإسرائيليين؛ وهي المسألة التي يختزلها النقاش حول تعيين الذبيح.

مسألة العصمة: لم تفصل النصوص الموحدية في العصمة كثيراً، بسبب الحساسية الآيديولوجية للمسألة، لكن بعد خفوت التعبئة الموحدية، وتدارك المنصور للمفارقة العقدية الحاصلة في الموضوع، أخذ المبحث وضعيته السليمة في مواجهة الشبهات والأخبار الواهية خاصة الإسرائيليات.

مسألة نسخ الشرائع: تبقى قضية نسخ الشرائع من أبرز قضايا الجدل العقدي بين اليهود والمسلمين في ذلك العصر، وهي كسابقتها تختزل قضايا حيوية مثل تثبيت نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) نبياً خاتماً وناسخاً لشريعة موسى (عليه السلام) ورسولاً للعالمين.

وقد تحمل العقل الأشعري مسؤوليته التاريخية باقتدار، وأظهر عنفواناً في هذا المضمار؛ عبر الذود عن عقيدته

بحجج عقلية صارمة لم تقبل بأنصاف الحلول، بدليل الرفض القاطع لطرح مذهب العيسوية من فرق اليهود، الذين يعترفون بمحمد نبياً للعرب من دون غيرهم من الأمم[٦١]، من قبيل ذلك ما ذهب إليه ابن جزي من أن مذهبهم في نسخ الشرائع ورفض النبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ينطوي على تناقض؛ لأن اليهودية ناسخة لما سبقها والاعتراف بنبوة محمد يعني الاعتراف بمضمونها العالمي[٦٢]. ومن قبيل هذا النقاش الموقف الصارم من العصمة، وعدّها مسألة مقطوعاً بها عقلاً مجمعاً عليها نقلاً؛ فالعصمة في حق الرسل ثابتة عقلاً؛ لأن عكسها ينبئ عن استحالة[٦٣]، ومما يلاحظ عند متكلمة المرحلة، سعيهم الحثيث لتجاوز الخلاف السني حول عصمة الأنبياء قبل النبوة من الكبائر، وبعدها من الصغائر، إذ بالرغم من وجود بعض النصوص التي توهم العكس، فقد حكى السكوني "عصمة الأنبياء من الكبائر إجماعاً ومن الصغائر تحقيقاً"[٦٤]، وشاطره ابن عرفة بخصوص الكبائر، لكن بخصوص الصغائر نفى أن تحصل على سبيل العمد[٦٥]. وبذل جهداً معرفياً كبيراً في تأويل بعض الآيات والأحاديث الموهمة خلاف ذلك[٦٦]، ومن قبيل ذلك جهد السنوسي في تأويل مشكلات البخاري.

وبخصوص منهج البحث والمناظرة اتسمت نصوص ما بعد الموحدين بجرأة أكبر في توظيف المنظومة المرجعية لليهود والنصارى من أجل تدعيم رسالة الإسلام وبيان نسخ الشرائع السابقة، الأمر الذي نجد أصوله في القرآن الكريم، لكنه دائماً ما كان يواجه تحرجاً من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، بحجة أن النقل المقطوع به أحق أن يحكم من الأنقال المظنونة والمحرفة، لكن كتب الملل استطاعت أن ترقى بهذا الأنموذج من الاستدلال، وتجعله أكثر قبولاً، ولا سيما بعدما أصبح أكثر نضجاً بفضل دعم فئة المهتدين للإسلام من علماء أهل الكتاب، مثل في كتاب الحسام الممدود في الرد على اليهود. لعبد الحق الاسلامي السبتي الذي ألفه استجابة لرغبة طلبته، مظهراً قصد الانتصار لنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)، وبيان حجج نسخ شريعته للشرائع السابقة، مقتبساً من التوراة نصوصاً تدل على نبوة محمد، مع توسله في تأويلها بمنهجية متداولة عند اليهود، هي ما يعرف بـ"حساب الجمل"[٦٧].

والذي ميز الكتاب أنه وصل البحث الكلي بالكلامي عبر موافقة

المضامين العقدية الإسلامية وتعزيزها بنصوص توراتية وكذلك عبر الفصل الذي عقده للمعجزات بعامة ومعجزة الإسراء بخاصة. كما التزم بشروط التداول الاجتماعي لقضايا النبوة عبر بيان خيرية النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) والانتصار للوراثة الإسماعيلية. وإذا كان عياض قد نظر للعقيدة من خلال باب النبوات، فإن عبد الحق الإسلامي، جعل من إثبات النبوة المحمدية مقدمة نظر من خلالها إلى عقائد اليهودية، وقطع بتهافتها عقلاً ونقلاً.

أما بخصوص المسيحية فقد عرف النقاش العقدي بين المسلمين والنصارى حضوراً كبيرة في النشاط الثقافي بالمغرب والأندلس بعد عصر الموحدين، إذ رتبت الكنائس القشتالية بدعم من مراكز التبشير بروما وطليلطة، حملة عنوانها الأبرز نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)؛ وذلك في إطار مواكبتها لحركة الطرد والتنصير القسري الموجه ضد المستضعفين في المدن والقرى الأندلسية... ورهانها الأساس تمثل في التشكيك في نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)؛ عقدياً عبر إنكار نبوته ومعجزاته، وخُلقاً عبر محاولة تشويه سيرته. بل إن الطعن امتد لنبوة[٦٨] إسماعيل عليه السلام الذي أنكرت الدعاية الكنسية أن يكون هو الذبيح صاحب العهد، وعدته مجرد "لقيط، فضلاً عن أن يكون هو الذبيح"[٦٩].

من جهتهم واكب علماء الغرب الإسلامي هذا الدعاية، وتصدوا لها بإعلاء مكانة العقيدة والدرس العقدي، وعملوا على تجديد الدماء في كتب دلائل النبوة، مثل أرجوزة

الدرر السَّنية في معجزات سيد البرية، لأبي بكر محمد بن أحمد اللخمي الاشبيلي (٦٥٤هـ)، وكتاب الأحكام من آي خير خيرة الأنام لأبي محمد حسن بن علي بن القطان (من أهل ق ٧). كما ترتب عن ذلك ثراء المناظرات الدينية في موضوع النبوات مثل رسالة السائل والمجيب وروضة نزهة الأديب الذي ختمه بمناظرات مع القشتاليين، ومناظرة ابن رشيق (ت٦٨٠هـ) مع قس نصراني حول وجه إعجاز القرآن ودلالته على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)[٧٠].

وإذا كانت المناظرات اليهودية الإسلامية تمحورت حول مسألتي العالمية والنسخ، فإن المحاورات مع المسيحيين ذهبت في اتجاه مناقشة جدلية الإلهي والإنساني، وحدود التمايز بينهما عقلاً وحساً، وذلك عبر توظيف المقدمات العقلية

الكلامية في إبطال بنوة عيسى أو إلهيته، وبيان صورته الإسلامية كما أقرها القرآن الكريم، ثم إثبات دلائل نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي بشر به المسيح نبياً خاتماً ناسخاً للشرائع السابقة كلها[٧١]؛ وهو الأمر الذي استند فيه المتكلمون لنصوص القرنين الخامس والسادس، كما استندوا فيه لمدونات أهل الكتاب التي أعادوا قراءتها بمنهجية نقدية قاصدة. بل إنهم انفتحوا حتى على حركة النقد الداخلي التي كانت رائجة حينها؛ ونقصد نقد البروتستانية للكاثوليكية، من دون أن يعني هذا أن النقاش مع البروتستانية غابت عنه النبوة وإنما كان لها موضعها وتفاصيلها المغايرة.

ولا يفوتنا في هذا السياق أن نشير إلى الحضور القوي للنبوة في الصراع الحضاري والمجتمعي؛ فهي من جهة أبرز محاور الصراع الحضاري بين الإسلام ممثلاً في المذهب السني المغربي الأندلسي والمسيحية ممثلة في الكاثوليكية البابوية، ومن جهة أخرى أضحت تعبيراً عن صراع مجتمعي بين هويتين؛ هوية إسلامية أندلسية تقاوم الاضطهاد والإكراه، وهوية مسيحية تتخذ من الدين ذريعة للتهجير القسري وتبرير العنف المادي والمعنوي في حق المخالف؛ إذ نجد النبوة في المجتمع قضية سجال عام ويومي، في حوارات الأسواق، وأيْمان المتعاقدين، ومجادلات الأصدقاء والخصوم، وفي كل المناسبات والمؤسسات الدينية والقضائية والسياسية... وبصورة قاتمة نجدها في محاكم دواوين التفتيش، إلى حد يمكن القول: إن اسم محمد (صلى الله عليه وسلم) مذكور في جميع محاضر التحقيق التي كتبتها محاكم دواوين التفتيش، ولا سيما سجلات قائمة الملعونين المحكوم عليهم بالإعدام. كما تضمن صك التنصير الذي أقره مجمع ١٦٤٥م تكذيب النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)[٧٢]. بل إن الموقف من دين محمد كما كان ينعت هو مسألة ضرورية في مراسيم الكنيسة وتنصيب الحكام[٧٣].

كما ارتبطت مسألة التحرر من الاضطهاد والثورات الفردية والجماعية للموريسكيين والأندلسيين بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، إلى جانب القرآن الكريم[٧٤]. هذا إلى جانب الأثر الثقافي والوجداني على المجتمع المسلم، والذي كان من نتائجه إبداع المغاربة في مظاهر تكريم شخصية النبي (صلى الله عليه وسلم) والتعلق به وبرسالته، من قبيل الاحتفاء بميلاد النبي (صلى الله عليه وسلم) والتنافس في إنشاء وإنشاد قصائد المديح

وذكر سيرة النبي وشمائله ومعجزاته في كل الأعياد والمناسبات السعيدة والحزينة[٧٥] وإبداع صيغ الصلاة عليه، التي تتضمن في الغالب معجزاته وشمائله، في الوقت الذي كان العالم الإسلامي يشكو من جهل كبير بقدر النبي (صلى الله عليه وسلم) بحسب تعبير المؤرخ المقريزي (ت٨٤٥هـ). في مقدمة كتاب إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع.

النبوة والتاريخ الاجتماعي: النبوة في موقع الانتحال والاقتباس

عرفت بلاد المغرب التصور الإسلامي للنبوة في وقت مبكر من تاريخ الدعوة الإسلامية، إذ تم تأسيس اللبنة الأولى للتفكير العقدي المغربي على يد نخبة من قراء الصحابة والتابعين أعقبهم ثلة من رجال الفقه والأثر، بعضهم ينتمي للجيلين الثاني والثالث من أبناء الدعوة الإسلامية، لهذا كان البحث في هذه المسألة سمعياً صرفاً؛ يتخذ صبغة الأحكام الشرعية وينهل من نصوص القرآن والحديث، بعيداً عن تأثير الخصوصيات التاريخية والإنتروبولوجية لبعض القبائل والمجتمعات المغاربية، وهو الأمر الذي حدث فيما بعد وعبرت عنه ظواهر مجتمعية أبرزها ظاهرة انتحال النبوة صراحة، أو انتحال بعض سماتها كما سنجده عن بعض مدّعي الهداية.

انتحال النبوة أو بعض مظاهرها:

لا نجد انتحال النبوة ظاهرة غريبة على المجتمع المغربي، إذ يمكن للمتصفح لتاريخنا الثقافي أن يعثر عليها بنحو دوري، بالرغم من ضعف المعطيات التاريخية المرتبطة بها التي يمكن التشكيك في بعض تفاصيلها في الأقل، لكن الاستنتاجات الأكيدة التي يسمح لنا بها استقراء بعض معالم الظاهرة تاريخياً واجتماعياً وثقافياً؛ أنها دائماً واكبت حقبة الضعف في تاريخنا الفكري والسياسي والاجتماعي، وأن المتأثرين بها هم العامة الذين تنطلي عليهم الحيل والشعوذات والتمويهات التي تساق في صورة خوارق وإلهامات، كما أن نهاية أصحابها كانت سيئة إما بوعي الأتباع وإما تدخل السلطة.

ومن ذلك ما تذكره بعض المصادر عن صالح بن طريف البرغواطي الذي ادعى النبوة في قومه بتامسنا، وكتب لهم كتاباً باللسان المحلي، أحدث فيه جملة من التشريعات التي تخالف رسالة الإسلام صراحة، لكنه لم يعدّ ذلك مناقضة للنبوة المحمدية، بل إنه اتخذ من نصوص القرآن التي ترجمها للسان قومه ما يسند ادعاءه،

"فدعاهم إلى الإيمان به، وذكر أنه نبي ورسول مبعوث إليهم بلغتهم، واحتج بقول الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ) (إبراهيم:٥) وأن محمداً (صلى الله عليه وسلم) نبيّ حق، عربي اللسان، مبعوث إلى قومه وإلى العرب"(٧٦).

وهو ما قام به حاميم بن خلف منّ الله أو "حاميم المفتري" (ت٣١٥هـ) في قبيلة غمارة، أكبر وأقوى وأعلم قبائل الشمال المغربي على مدار التاريخ؛ فقد ادعى النبوة "واجتمع إليه كثير منهم (غمارة) وأقروا بنبوته، وشرع لهم الشرائع والديانات من العبادات والأحكام، وصنع لهم قرآناً كان يتلوه عليهم بلسانه"(٧٧).

وعلى نهجه صار متنبئون ذهبت تفاصيل "دعوتهم" مع أصحابها، حتى صرنا لا نعلم عنهم إلا الاسم أو الوصف، مثل بلدييه عاصم بن جميل اليزدجومي الذي كانت أخباره مأثورة زمن ابن خلدون(٧٨) لكنها ضاعت حتى صرنا نجهل عنه أهم المعلومات، والتلمساني الذي تنبأ في حدود ٢٣٧هـ ولم يبق من سيرته سوى وصف له بأنه "مؤذن من ناحية تلمسان ادعى النبوة وتأول القرآن على غير وجهه وتأويله، فاتبعه خلق كبير من الغوغاء... فأمر أمير تلمسان بالقبض عليه فهرب وركب البحر إلى بلاد الأندلس، فشاع بها خبره وأمره، فتبعه من سفهاء الناس أمة عظيمة"(٧٩)، ومما ينبغي ذكره بحذر شديد في هذا المقام، أن هذه الدعاوى المبكرة تزامنت مع موجة من الغنوص الذي اجتاح قسماً كبيراً من الفضاء المغاربي، ولا سيما مع ما عرف به مذهب الإسماعيلية العبيديين من تداخل بين خصوصيات النبوة والإمامة، على نحو شوش على المفهومين وأحدث بعض الاختلاط في مواضع معينة.

وحتى بعد دخول المغرب عصر النهضة العلمية بقيت هذه الظاهرة محتفظة بالسمات أنفسها، فمع تراجع عنفوان دولة الموحدين ظهر في شمال المغرب متنبئ جديد هو محمد الكتامي المعروف بابن أبي الطواجن سنة ٦٢٥هـ، الذي "ادعى النبوة وشرع الشرائع وأظهر أنواعاً من الشعوذة فكثر تابعه".(٨٠)

كما سنجد بعض الانتحال في أدبيات بعض النحل المغربية مثل اليوسفية التي عاصرت حقبة الوطاسيين والسعديين إلى بداية العلويين، واستوطنت بلاد تادلة ونواحيها حتى صحراء سجلماسة ومشارف تلمسان، وكان لشيوخها بعض الشطحات التي تعكس تطاولاً على مقام النبوة، مثل أحمد بن يوسف في قوله "أنا رسول"(٨١)

ومع أنه نطق بها شطحاً، ونفى في صحوه أن يكون القصد هو الرسالة بالمعنى الحقيقي وإنما النيابة والبلاع وإحياء طريق الحقيقة، إلا أن تكرر القول منه وشهرته بين أتباعه، فيه نوع من الانتحال؛ لأن الرسالة على وفق المجال الفكري والثقافي الذي عاش فيه وهو مجال أهل السنة والجماعة هي اصطلاح شرعي واختيار إلهي وتكليف توقيفي لا يحصل بالادعاء ولا بالاكتساب.

وذكر اليوسي جملة من مظاهر انتحال النبوة عند العكاكزة أو بتعبيره "كلامهم في النبوة" يقول: "ومن ذلك أنهم يرون له حق التشريع كما للنبي، ولديهم كتاب يقدسونه يسمى "ابن رباش" فيه ما زعموا من المناجاة الواقعة لصاحبهم الذي يسمونه المنزول... ويغالون في حبه ويفضلونه على النبي، ويعقدون لذلك المناظرات مع المسلمين، كما يحدثون بعض الشبهات حول نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)"[٨٢].

وبعيداً عن أي حكم معياري لا يقدم شيئاً للبحث في تاريخ الأفكار والنزعات، نؤكد جملة ملاحظات بخصوص هذه الظاهرة، أو تؤكدها هذه الظاهرة، وهي:

- التصديق الراسخ بظاهرة النبوة بتفاصيلها الدينية عامة والإسلامية على وجه الخصوص؛ فالمجتمع المغربي أدرك الظاهرة وموقعها من الدين والمعرفة والقيادة الاجتماعية، ووجدانه الجمعي حضرت فيه حقيقة غيبية مفادها جواز إرسال الله (عز وجل) لشخص من بني آدم يخبر بالشريعة، ويتصف بصفات سامية كالعصمة والرفعة وخرق العوائد والإخبار بالغيب والشرع.
- انتحال النبوة جملة أو محاكاتها في بعض خصوصياتها، من أخطر الظواهر التي عرفها تاريخنا الفكري؛ لكن الغريب الذي نقف عنده هو أولئك المتنبئين مع مخالفتهم الصريحة لقطعيات المذهبية السنية، لم يتجرأوا على إنكار نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) نبياً رسولاً مبعوثاً لقومه والعرب، فصالح ابن طريف استدل بالقرآن على ادعائه، وحاميم سمى ابنه محمداً، باستثناء البضاضوة من العكاكزة الذين سبوا النبي وتبرروا منه وصرحوا ببغضه وبغض القرآن. ومع أن أغلب المتنبئين كانوا من المتطلعين للزعامة السياسية والاجتماعية باسم الدين، وبرروا ادعاءاتهم بالمحلية والعرق واللسان، إلا أن ما نقله المؤرخون من مبادئهم لا يحمل

أي خلفية عنصرية أو شعوبية، أو حتى دعوى القطيعة المعرفية مع المشرق، وهو ما عبرت عنه رحلة التحصيل لمدعي النبوة بالمشرق.

- اتكاء علماء العقيدة والفقهاء على مبحث المعجزة، في إبطال دعاوى التنبؤ؛

إذ نجد في النصوص العقدية إرادة واضحة للتفريق بين النبيء والمتنبئ، كما نجد استثماراً للمعرفة والمناهج الكلامية في ضبط المفاهيم المتقاربة بحدود واضحة، كالفرق بين "المعجزة والكرامة والولاية السحر وخرق العادة بالأفعال والأخبار والكهانة[٨٣].

الخاتمة

بعد هذه الجولة الموجزة في تاريخنا الفكري، توصلنا إلى الخلاصات الآتية:

- انفتح البحث العقدي بالمشرق والمغرب على شواهد متعددة في إثبات نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم، ولم يعد يعتبر المعجزة دليلاً أوحد على صدق النبي، كما انفتح على قضايا مجتمعية وحضارية راهنة، مثل نقد شبه خصوم النبوة من بعض المتفلسفة وأهل الكتاب ومدّعي الهداية.

-لم تعد النبوة مسألة سمعية، بل أعمل فيها النظار العقل والنقل والحس والذوق، مع الحفاظ على قصدية البحث والالتزام بالشروط التاريخية.

- لم تجعل كتب الكلام من مبحث النبوات مبحثاً معزولاً عن البحث الأنطولوجي والطبيعي، فهو باب في علم التوحيد ومحور من محاور أصل التوحيد، ينطلق من الإلهيات ليناقش قضايا الثيولوجيا والإنسان والطبيعة.

- اتخذت النبوة في منظومة التفكير العقدي المغربي موقعاً محورياً، لدى جميع رجالات الفكر والأخلاق، بوصفها من أصول الدين ودعائم هوية المجتمع الحضارية والاجتماعية، وهذا ما تخبرنا به نصوص ما بعد القرن السابع.

-أدرك المغاربة خطورة التحديات التي تواجهها النبوات، لهذا سعوا إلى تنزيل التصور الإسلامي السني في قنوات التعليم والتثقيف، فتركوا لنا تراثاً حافلاً من الكتب والرسائل.

- اصطبغ التراث العقدي المغربي بقصدية واضحة في معالجة قضايا النبوات، ألا وهي الدعوة إلى الالتزام بشريعة من ثبت صدقه في الإخبار عن الله (عز وجل)، خبراً ناسخاً لكل الشرائع خاتماً لها.

– وفي ختام هذا البحث نؤكد أننا لم نستطع ذكر جميع قضايا النبوات لأسباب موضوعية، إذ ما زالت في جعبة كتب العقائد المغربية والأندلسية، قضايا أخرى متعلقة بالنبوات مثل المفاضلة مع الملائكة ونبوة النساء وماهية العلم النبوي، ونبوة الخضر.

هوامش البحث

(١) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المائة، ط ١٩٩٧م ص ٥٢.

(٢) من الذين ألفوا في موضوع دلائل النبوة: أبو جعفر الإسكافي المعتزلي (ت٢٤٠هـ) وابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦) والنظام المعتزلي (ت٢٢٩هـ)، وأبو الحسن أحمد بنيحي المنجم المعتزلي (ت٣٢٧هـ) ومحمد بن زيد الواسطي المعتزلي (ت٣٠٦هـ) والقاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ) في تثبيت دلائل النبوة، والجاحظ (ت٢٥٥ هـ) اهتم بمسألة النبوة في كل كتبه خاصة كتاب حجج النبوة... دون أن ننسى تراث المهتدين للإسلام من أهل الكتاب.

(٣) السكوني، عيون المناظرات، ٥٦.

(٤) يراد هنا المذهب القائل بأن معرفة الحقائق في هذا العالم لا يمكن الوصول إليها، أو يشك في الوصول إليها، زكي نجيب محمود وأحمد أمين، قصة الفلسفة اليونانية، دار الكتب المصرية، ١٩٣٥م، ص ٣٠٥.

(٥) عبد الرحمن بدوي، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ص ٧١.

(٦) تخصيص المعتزلة بالذكر هنا لسبقهم إلى بحث المسألة كلامياً (٦)، ولتركيز كتب الكلام الأشعرية على مناقشتهم أكثر من غيرهم من الفرق.

(٧) مقدمة تحقيق شرح الأصول الخمسة، ص٢٥.

(٨) القاضي عبد الجبار، المغني: ١٥/١٥

(٩) هذا الأمر تعبر عنه بوضوح رسائل ونصوص رجال العدلية، مثل رسائل القاسم الرّسي، والجبائيين، والقاضي عبد الجبار، والشريف المرتضى، ويحي بن الحسين.

(١٠) القاضي عبد الجبار، المختصر في أصول الدين، ضمن رسائل العدل والتوحيد، ص ٢٦٣.

(١١) شرح الأصول الخمسة، ٥٦٣.

(١٢) مقدمة تحقيق شرح الأصول الخمسة، ص٢٥.

(١٣) شرح الأصول الخمسة، ص ٥٦٥.

(١٤) المختصر في أصول الدين، ص ١٩٨

(١٥) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين: ص: ٥٥-٥٦-١٧٩-١٨٠-٢٠٩...

(١٦) ابن فورك، مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري، ص ١٧٤.

(١٧) ابن عساكر، تبيين كذب المفتري ١١٠- ١٠٦.

(١٨) مجرد مقالات أبي الحسن، ١٧٥-١٧٨.

(١٩) مجرد مقالات أبي الحسن، ١٧٤-١٨٠

(٢٠) أبو بكر بن الباقلاني، كتاب التمهيد، ص٤.

(٢١) كتاب التمهيد، ص ١٠٤ وما بعدها.

(٢٢) أبو المعالي الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ٣٠٢.

(٢٣) المطالب العالية ٨/ ١٠٠-١٢٣.

(٢٤) معجم ما ألف عن الرسول صلى الله عليه وسلم، صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد- لبنان، ١٩٨٢م.ص ٥٩-٨٥. من مؤلفات الغرب الإسلامي في دلائل النبوة" لخديجة أبوري، مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف والسيرة العطرة، https://www.arrabita.ma.

(٢٥) عقيدة أبي بكر المرادي الحضرمي، ص٢٠٥

(٢٦) المصدر نفسه، ٢٠٦

(٢٧) نفسه، ص ٢٠٧. بتصرف.

(٢٨) نفسه، ص ٢٠٦-٢١٦

(٢٩) الديباجي القروي، التسديد في شرح التمهيد، ٣٠٠إلى ٣٠٨

(٣٠) المصدر نفسه ٢٩١-٢٩٤.

(٣١) أبو الحجاج يوسف الضرير، التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد، منشورة وزارة الأوقاف المغربية، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م. ص ١٣١-١٤٩.

(٣٢) جمال علال البختي، السلالجي ومذهبيته الأشعرية، ص ٢٥٦. قارن بشرح اليفرني على البرهانية، ١٠٤٣/٣.

(٣٣) نفسه، ص٤-٥.

(٣٤) ابن العربي المعافري، سراج المريدين في سبيل الدين، ص، ٣٤/١. تحتاج هذه المسألة لدراسة استقرائية تطبيقية من أجل الحكم على مستوى الإسرائيليات عند ابن العربي.

(٣٥) ابن العربي المعافري، المتوسط ص ٣١٩- ٣٧١.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ٣٧٠- ٣٧١.

(٣٧) أحمد المقري أزهار الرياض في أخبار عياض، ط صندوق إحياء التراث، ٢٧١/٤.

(٣٨) عياض، كتاب الشفا ص ١٧٣.

(٣٩) بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب، أحمد بن زكري، (ت٩٠٠هـ)، تح عبد الله بن يوسف الشيخ، ص ٣٢٨. عبد الرحمن بن سليمان الكرامي السملالي السوسي الإشبيلي (ت قبل٨٨٢هـ)، تقييد البيان لمعاني مسائل عقيدة البرهان، تحقيق الجيلالي قدوري، رسالة مرقونة بكلية أصول الدين، نوقشت بتاريخ ٢١فبراير ٢٠٢٠م.

(٤٠) أحمد المنجور، الحاشية الكبرى على شرح كبرى السنوسي ص٢٢٠-٢٢١.

(٤١) أحمد زروق، شرح عقيدة الغزالي، ص١٣٠.

(٤٢) عبد الحق ابن سبعين، بد العارف ص:٩- ٣٢٠. تحقيق جورج كتوره، دار الأندلس- بيروت، ط١، ١٩٧٨م.

(٤٣) راجع شرح زروق للرسالة، ص٤٣ شرح البرهانية للشريف العمراني الغربي، ص ١٠٠٦-١٠٠٧. شرح البرهانية لليفرني ١٠٥٥/٣.

(٤٤) عبد الحق ابن سبعين، أنوار النبي، أسرارها وأنواعها. ص١٣٥. وقارن بكلام ابن عربي في فصوص الحكم، الفص ٢٧ ص ٢١٤ وما بعدها.

(٤٥) الفتوحات ٢٥٦/٢ دار صادر ١٩٦٨. راجع تفاصيل أوفى عن هذا الموضوع عند علي سودكيفيتش في كتابه النبوة والولاية عند ابن عربي، ترجمة أحمد الطيب، دار القبة الزرقاء- مراكش المغرب، ١٩٩٩م.

(٤٦) أبو العباس القرطبي، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام. ص ٢٦١.

(٤٧) السكوني عيون المناظرات، ص٣٨.

(٤٨) محمد ابن جزي الغرناطي، النور المبين في قواعد عقائد الدين، ص ٦٣.

(٤٩) ابن عرفة التونسي، المختصر الكلامي، ص ٩٤٩ -٩٥٠.

(٥٠) ابن زكري التلمساني، بغية الحاجب في شرح عقيدة ابن الحاجب، ص٣٤١-٣٤٢.

(٥١) محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، ص ٣١٠.

(٥٢) السكوني عيون المناظرات، ص ٥٥-٥٦. ابن جزي، النور المبين في قواعد عقائد الدين، ص ٦٣، ابن خلدون لباب المحصل ٢٠٨، شرح البرهانية للشريف العمراني الغربي، ص ١٠٩١ وما بعدها.

(٥٣) النور المبين، ص ٧٠، شرح زروق على المقدمة القرطبية، ص ١١٣-١١٤-١١٥.

(٥٤) السكوني عيون المناظرات، ٥٥-١٢٤ أبو الحجاج يوسف المكلاتي، لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول، ص٢٩١ وما قبلها. شرح البرهانية للشريف العمراني الغربي، ص ١٠٨١-١٠٨٨.

(٥٥) النور المبين، ص ٦٧-٧٠.

(٥٦) شرح البرهانية للشريف العمراني الغربي، ١٠٨٥-١٠٨٨.

(٥٧) مناظرة سعيد العقباني نيل الابتهاج، ص ٤٩٠. شجرة النور ١/ ٢٥٤.

(٥٨) الأنيس المطرب، ص ٣٣٢-٤٠٤ . ابن القاضي، جذوة الاقتباس ٥١/١ الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ص ٢٨٥، إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ ٧٦/٢. عطا علي محمد شحاتة، اليهود في بلاد المغرب الأقصى، في عهد المرينيين والوطاسيين.

(٥٩) راجع فصلي التوحيد والنبوة عند موسى بن ميمون في كتاب تثنية التوراه اليد القوية، تحقيق محمد خليل حسين، منشورات الجمل، ٢٠١٦م. وكذلك فصل الطبيعة والظواهر الخارقة من كتاب موسى بن ميمون لتمار رودافسكي، المركز القومي للترجمة، ط ٢٠١٣م. ص ١٥٩ وما بعدها.

(٦٠) ستتخذ هذه القضية بعداً اجتماعياً أكثر خطورة في القرن ١١، مع ظاهرة ما صار يعرف في الأدبيات المغربية بـ"الإسلاميين" أو المهتدين من بني إسرائيل، وألف فيه كتب منحولة أبرزها كتاب "رشف الضرب في فضل بني إسرائيل والعرب" الذي اختلف في صاحبه، ستمرت القضية في التداول الفكري إلى عصر السلطان المولى سليمان الذي رد على الكتاب برسالة سماها "الرد على من قال بأفضلية بني إسرائيل على العرب"، الرسالة مطبوعة بتحقيق عبد المجيد خيالي دار الكتب العلمية- بيروت- ط١- ٢٠٠١.

(٦١) ابن عرفة، المختصر الكلامي، ٩٥١-٩٥٥.

(٦٢) ابن جزي، النور المبين، ٧٧-٨١.

(٦٣) شرح البرهانية للشريف العمراني، ص ١٠٧٦.

(٦٤) عيون المناظرات، ص ٥٦.

(٦٥) ابن عرفة، المختصر الكلامي، ٩٥٥ -٩٦٤.

(٦٦) نفسه، ص ٩٥٥ -٩٦٤.

(٦٧) عبد الحق الاسلامي السبتي، الحسام الممدود في الرد على اليهود. ص١١٠-١٤٠ و١٩٤-٢٠٧.

(٦٨) لفظ نبي في المسيحية مختلف عنه في الإسلام؛ إذ في الغالب ما يطلق على الأنبياء الذين بشروا بالمسيح، والنبوة بوصفها الكلام باسم الروح ختمت بالمسيح، أما لفظ الرسالة فيطلق على الرسل الاثني عشر الذين حملوا المسيحية للعالم وأبرزهم بولس، وهم إن لم يكونوا أنبياء فهم ناطقون بروح النبوة.

(٦٩) لوي كاردياك، الموريسكيون الاندلسيون والمسيحيون المجابهة الجدلية، ص٥٧-٥٩.

(٧٠) الونشريشي، المعيار المعرب، ١٥٥/١١.

(٧١) عبد الله الترجمان الأندلسي (انسلم تورميدا) ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، ص ١٠٥-١٤١.

(٧٢) لوي كاردياك، الموريسكيون الاندلسيون والمسيحيون المجابهة الجدلية، ص١٣٢ أحمد بن قاسم الحجري، ناصر الدين على القوم الكافرين، ص ٥٠-١٣٩.

(٧٣) المرجع نفسه، ص٥٣- ١٣١

(٧٤) المرجع نفسه، ،ص ٦٢.

(٧٥) المرجع نفسه، ٣٥.

(٧٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ٨٢.

(٧٧) ابن خلدون، العبر، ٢٨٨/٦

(٧٨) المصدر نفسه، ٢٨٨/٦.

(٧٩) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ٩٦.

(٨٠) ابن خلدون، العبر، ٢٩٧/٦.

(٨١) عبد الله نجمي، التصوف والبدعة بالمغرب: طائفة العكاكزة، ١٧١-١٧٢.

(٨٢) رسائل اليوسي، ٢٨٠/١-٢٩٦ ، التصوف والبدعة بالمغرب، ص ٣٣٦.

(٨٣) شرح البرهانية لليفرني، ١٠٥١/٣ وما بعدها. شرح البرهانية للشريف العمراني الغربي، ص ١٠٤٣- ١٠٥١.

قائمة المصادر والمراجع

١- **ابن عرفة**، التونسي، المختصر الكلامي، تح، نزار حمادي، دار الضياء- الكويت.

٢- **الضرير**، أبو الحجاج يوسف، التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

٣- **اليفرنيّ**، أبو الحسن عليّ الطّنجيّ، المباحث العقلية في شرح معاني العقيدة البرهانية، تح، جمال علّال البختي، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، مركز أبي الحسن الأشعري، ٢٠١٧م.

٤- **القرطبي**، أبو العباس، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، تح أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي- القاهرة، ١٩٨٠م.

٥- **عياض**، أبو الفضل السبتي، كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تح، علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي- بيروت ١٩٨٤م.

٦- **الربعي**، أبو القاسم عبد الجليل بن أبي بكر القروي الديباجي، التسديد في شرح التمهيد، تح، رشيد عمور، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، ٢٠٢٢.

٧- **المرادي**، أبو بكر الحضرمي، عقيدة أبي بكر المرادي الحضرمي، تح، جمال علال البختي، الرابطة المحمدية للعلماء، مركز أبي الحسن الأشعري، ط١، ٢٠١٢م.

٨- **الباقلاني**، أبو بكر بن الطيب، كتاب التمهيد، تح الأب ريتشارد يوسف مكارتي، المكتبة الشرقية، بيروت- لنبان، ١٩٥٧م.

٩- **السكوني**، أبو علي عمر، عيون المناظرات، تح: سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٧٦م.

١٠- **المنجور**، أحمد، الحاشية الكبرى على شرح كبرى السنوسي، تح، نور الدين عجرود، ط٢٠١٢م.

١١- **زروق**، أحمد البرنسي، شرح المقدمة القرطبية، تح، أحمد زقور، دار ابن حزم- بيروت، ٢٠٠٥م.

١٢- **زروق**، أحمد البرنسي، شرح زروق للرسالة، تح أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

١٣- **زروق**، أحمد البرنسي، شرح عقيدة الغزالي، تح محمد عبد القادر نصار، دار الكرز، مصر- القاهرة. ط١، ٢٠٠٧م.

١٤- **البختي**، جمال علال، السلالجي ومذهبيته الأشعرية، دار أبي رقراق- الرباط. ط١، ٢٠٠٥/١٤٢٦هـ.

١٥- رسائل العدل والتوحيد، تح، محمد عمارة، دار الشروق، ط٢، ١٩٨٨م/١٤٠٨هـ.

١٦- **القاضي**، عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تح عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط٣- ١٩٩٦م.

١٧- **العمراني**، الشريف، شرح البرهانية، من تقييد محمد بن عبد الرحمن المديوني ت٩٦٠هـ، تح، إكرام بولعيش، أطروحة الدكتوراه نوقشت بكلية أصول الدين- تطوان ٣١ يوليوز ٢٠١٨م.

١٨- **ابن سبعين**، عبد الحق، أنوار النبي، أسرارها وأنواعها. دار الأفاق العربية – القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م /١٤٢٨هـ.

١٩- **ابن سبعين**، عبد الحق، بد العارف تح، جورج كتوره، دار الأندلس- بيروت، ط، ١٩٧٨م.

٢٠- **الإسلامي**، عبد الحق السبتي، الحسام الممدود في الرد على اليهود. دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٢/٢٠٠١م.

٢١- **ابن خلدون**، عبد الرحمن، لباب المحصل، تح عباس محمد حسن سليمان، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية ١٩٩٦م.

٢٢- **الكرامي**، عبد الرحمن بن سليمان السملالي السوسي الإشبيلي (ت قبل٨٨٢هـ)، تقييد البيان لمعاني مسائل عقيدة البرهان، تح، الجيلالي قدوري، رسالة مرقونة بكلية أصول الدين، نوقشت بتاريخ ٢ فبراير ٢٠٢٠م.

٢٣- **الترجمان**، عبد الله الأندلسي (انسلم تورميدا)، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، دار المعارف- القاهرة، ١٩٩٢م.

٢٤- **المكلاتي**، لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول، تح: فوقية حسين محمود، دار الأنصار القاهرة. ط١، ١٩٧٧م.

٢٥- **كاردياك**، لوي، الموريسكيون الاندلسيون والمسيحيون المجابهة الجدلية، ترجمة عبد الجليل التميمي، منشورات المجلة التاريخية المغربية، تونس، ١٩٨٣م.

٢٦- **ابن جزي**، محمد الغرناطي، النور المبين في قواعد عقائد الدين، دار الإمام ابن عرفة، تونس، ط١، ٢٠١٥م/١٤٣٦هـ.

٢٧- **المنوني**، محمد ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب، الرباط، مطبعة النجاح، ط٣، ٢٠٠٠/١٤٢٠هـ.

- References

- ‘Abd al-Ḥaqq al-Islāmī al-Sabtī, al-Ḥusām al-mamdūd fī al-radd ‘alá al-Yahūd. Dār al-Bashā’ir al-Islāmīyah, 1st ed, 1422/2001.
- ‘Abd al-Ḥaqq Ibn sab‘īn, Anwār al-Nabī, asrārhā wa-anwā‘hā. Dār al-Āfāq al-‘Arabīyah – Cairo, 1st, 2007 / 1428 AH.

- ‘Abd al-Ḥaqq Ibn sab‘īn, buddū al-‘Ārif tḥ, Jūrj ktwrh, Dār al-Andalus – Beirut, 1978.
- ‘Abd al-Jalīl ibn Abī Bakr al-Rab‘ī al-Qarawī al-Dībājī, altsdyd fī sharḥ al-Tamhīd, ed, Rashīd ‘Ammūr, al-Rābiṭah al-Muḥammadīyah lil-‘Ulamā’, Morocco, 2022.
- ‘Abd Allāh al-Turjumān al-Andalusī (Anselm Turmeda), Tuḥfat al-arīb fī al-radd ‘alá ahl al-ṣalīb, Dār al-Ma‘ārif – Cairo, 1992.
- ‘Abd al-Raḥmān Ibn Khaldūn, Lubāb al-Muḥaṣṣal, tḥ ‘Abbās Muḥammad Ḥasan Sulaymān, Dār al-Ma‘rifah aljām‘yt-al-Iskandarīyah 1996.
- ‘Abd al-Raḥmān ibn Sulaymān al-Karāmī al-Simlālī al-Sūsī al-Ishbīlī, Taqyīd al-Bayān li-ma‘ānī masā’il ‘aqīdat al-burhān, ed, al-Jīlālī Qaddūrī, PhD dissertation, Faculty uṣūl al-Dīn, Tétouan 2 February 2020
- Abū al-‘Abbās al-Qurṭubī, al-I‘lām bi-mā fī dīn al-Naṣārá min al-fasād wa-al-awhām, ed, Aḥmad Ḥijāzī al-Saqqā, Dār al-Turāth al‘rby-Cairo, 1980.
- Abū al-Faḍl ‘Iyāḍ al-Sabtī, Kitāb al-Shifā bi-ta‘rīf Ḥuqūq al-Muṣṭafá, ed, ‘Alī Muḥammad al-Bajāwī, Dār al-Kitāb al-‘Arabī – Beirut 1984.
- Abū al-Ḥajjāj Yūsuf al-Ḍarīr, al-Tanbīh wa-al-Irshād fī ‘ilm al-i‘tiqād, Ministry of Awqāf and Religious Affairs,Morocco, 1435h / 2014 AH.
- Abū al-Ḥasan ‘lī alyfrnī alṭṭnjī al-mabāḥith al-‘aqlīyah fī sharḥ ma‘ānī al-‘aqīdah al-Burhānīyah, ed, Jamāl ‘llāl al-Bakhtī, Manshūrāt al-Rābiṭah al-Muḥammadīyah lil-‘Ulamā’, Morocco, 2017.
- Abū ‘Alī ‘Umar alskwny, ‘Uyūn al-Munāẓarāt, ed, Sa‘d Ghurāb, Manshūrāt al-Jāmi‘ah al-Tūnisīyah, 1976.
- Abū Bakr al-Murādī al-Ḥaḍramī, ‘aqīdat Abī Bakr al-Murādī al-Ḥaḍramī, ed, Jamāl ‘Allāl al-Bakhtī, al-Rābiṭah al-Muḥammadīyah lil-‘Ulamā’, Morocco, 1st ed, 2012.
- Abū Bakr ibn al-Bāqillānī, Kitāb al-Tamhīd, ed, al-Ab Rītshārd Yūsuf mkārty, al-Maktabah al-Sharqīyah, - Aḥmad Zarrūq al-Baransī, sharḥ al-muqaddimah al-Qurṭubīyah, ed, Aḥmad zqwr, Dār Ibn ḥzm-Beirut. 2005. 1957.

- Aḥmad al-Manjūr, al-Ḥāshiyah al-Kubrá ʻalá sharḥ kubrá al-Sanūsī, ed, Nūr al-Dīn ʻAjrūd, 2012.
- Aḥmad Zarrūq al-Baransī, sharḥ al-muqaddimah al-Qurṭubīyah, ed, Aḥmad zqwr, Dār Ibn ḥzm-Beirut. 2005.
- Aḥmad Zarrūq al-Baransī, sharḥ Zarrūq lil-risālah, ed, Aḥmad Farīd al-Mazīdī, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Beirut, 1st ed, 2006.
- Aḥmad Zarrūq, sharḥ ʻaqīdat al-Ghazālī, tḥ Muḥammad ʻAbd al-Qādir Naṣṣār, Dār al-Karaz, mṣr-ālqāhrh. 1st ed, 2007.
- Ibn ʻArafah al-Tūnisī, al-Mukhtaṣar al-kalāmī, ed, Nizār Ḥammādī, Dār alḍyā'-ālkwyt.
- Jamāl ʻAllāl al-Bakhtī, al-Salālijī wa-madhhabīyatuhu al-Ashʻarīyah, Dār Abī rqrāq- Rabat. 1st,ed, 2005/1426.
- Lubāb al-ʻuqūl fī al-radd ʻalá al-falāsifah fī ʻilm al-uṣūl, ed fwqyh Ḥusayn Maḥmūd, Dār al-Anṣār Cairo. 1st, 1977.
- lwy kārdyāk, al-Mūrīskīyūn al-Andalusīyūn wa-al-Masīḥīyūn al-mujābahah al-jadalīyah, translated by ʻAbd al-Jalīl al-Tamīmī, Manshūrāt al-Majallah al-tārīkhīyah al-Maghribīyah, Tūnis, 1983.
- Muḥammad al-Manūnī, Waraqāt ʻan Ḥaḍārat al-Marīnīyīn, Manshūrāt Kullīyat al-Ādāb, rabat, Maṭbaʻat al-Najāḥ, 3th ed, 2000/1420.
- Muḥammad Ibn Juzayy al-Gharnāṭī, al-Nūr al-mubīn fī Qawāʻid ʻaqā'id al-Dīn, Dār al-Imām Ibn ʻArafah, Tūnis, 1st, 2015 / 1436 AH.
- Rasā'il al-ʻAdl wa-al-tawḥīd, ed, Muḥammad ʻImārah, Dār al-Shurūq, 2en ed, 1988/ 1408 AH.
- sharḥ al-Burhānīyah lil-Sharīf al-ʻUmrānī al-gharbī, min Taqyīd Muḥammad ibn ʻAbd al-Raḥmān al-Madyūnī, ed, Ikrām Bū-Laʻīsh, PhD dissertation, Faculty uṣūl al-Dīn, – Tétouan ٣١ July 2018.
- sharḥ al-uṣūl al-khamsah, ed, ʻAbd al-Karīm ʻUthmān, Maktabat Wahbah, 3th ed-1996.

The Study of Prophethood in the Context of Interaction with Thought and Society (Prophetic Issues in the Islamic West as a Model)

Professor of Religions and Dialogue of Civilizations Qatar University (Qatar)

Abstract:

This research discusses the development of the topic of prophethood in the history of Islamic thought, and seeks to discover its interaction with internal and external social and intellectual issues, and the transformations that occurred in it in terms of methodology and contents. This is done through a new reading of the circumstances of

the emergence of the study of prophecies in the East and West, and the transfer of theology from the East to the Islamic West, and the new circumstances with which it interacted.
The research concluded with the conclusion of a number of transformations related to the type of prophetic issues that were raised in the books of faith, mysticism, philosophy, and comparative religions. and the change that occurred in the nature of inference.

Key words: prophethood– History – Sociology – Creed – The Islamic West